

القضية الفلسطينية

خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة



تأليف

د. محسن محمد صالح

طبعة مزيدة ومنقحة



الفصل الأول

خلفيات القضية الفلسطينية حتى سنة ١٩١٨



خلفيات القضية الفلسطينية حتى سنة ١٩١٨

مقدمة:

ثلاثة جوانب تجعل القضية الفلسطينية القضية الأبرز التي شغلت، وما تزال تشغل، العالم العربي والإسلامي:

الجانب الأول: طبيعة الأرض بقدسيتها وبركبتها ومركزيتها في قلوب المسلمين.

والجانب الثاني: طبيعة العدو بادعاءاته العقائدية والتاريخية، وبروحه الإحلالية التوسعية، التي تسعى لطرد شعب فلسطين، وإلغاء حقوقه الأصيلة في أرضه ومقدساته.

والجانب الثالث: طبيعة التحالف الغربي - الصهيوني الذي هدف أساساً إلى تمزيق الأمة الإسلامية، وإضعافها وإبقائها مفككة الأوصال، تدور في فلك التبعية للقوى الكبرى.

ولذلك يمثل التحدي اليهودي الصهيوني، الذي انزوع في فلسطين، قلب العالم الإسلامي، بأشكاله العسكرية والسياسية والحضارية، أبرز التحديات التي تواجه الأمة المسلمة، وسعيها نحو التحرر والوحدة والنهضة، لاسترداد مكانتها وريادتها بين الأمم.

وليس بخاف أن هذه القضية لم تكن يوماً قضية الفلسطينيين وحدهم؛ لأن إنشاء الكيان اليهودي - الصهيوني على أرض فلسطين لم يكن إلا مركزاً متقدماً لتنفيذ هذا البرنامج الغربي - الصهيوني. وسواء التقى ذلك مع أهداف أخرى من حل مشكلة اليهود في أوروبا، أو التعاطف الديني مع رغباتهم، فإن الحقيقة الصارخة تكشف مدى الظلم الذي يرتكبه الغرب في تهجير شعب فلسطين وتدمير كيانه، وتعريض العالم الإسلامي للخطر، والاستقرار العالمي للانفجار، في سبيل تحقيق أهدافهم تلك، في عالم يزعمون فيه دعوتهم للسلام العالمي وحقوق الإنسان.



أولاً: فلسطين:

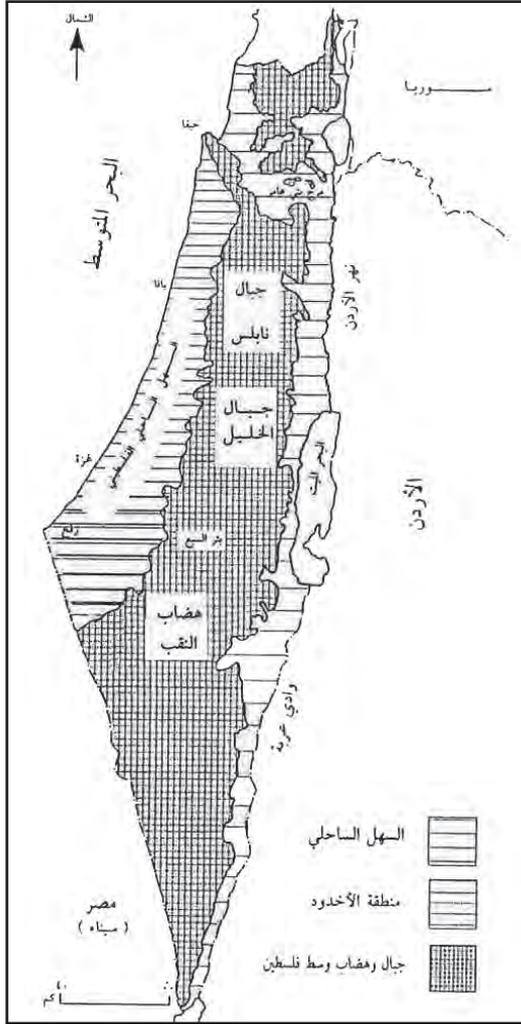
يطلق اسم فلسطين على القسم الجنوبي الغربي لبلاد الشام، وهي الأرض الواقعة غربي آسيا، على الساحل الشرقي للبحر المتوسط. ولفلسطين موقع استراتيجي مهم، إذ تُعدُّ صلة الوصل بين قارتي آسيا وإفريقيا، ونقطة التقاء جناحي العالم الإسلامي.

وقد سكن الإنسان أرض فلسطين منذ عصور موعلة في القدم، كما تدل الحفريات والآثار، وشهدت أرضها مراحل التطور الإنساني الأولى في التحول من الرعي إلى الزراعة، كما أن أول مدينة جرى تشييدها في التاريخ هي مدينة "أريحا" الواقعة شمال شرقي فلسطين وذلك نحو سنة ٨٠٠٠ ق.م حسبما يذكر علماء الآثار.

وأقدم اسم معروف لهذه الأرض هو "أرض كنعان"؛ لأن أول شعب سكن هذه الأرض ومعروف لدينا تاريخياً هم "الكنعانيون"، الذين قدموا من جزيرة العرب نحو ٢٥٠٠ ق.م. واسم فلسطين هو اسم مشتق من اسم أقوام بحرية، لعلها جاءت من غرب آسيا الصغرى ومناطق بحر إيجه حوالي القرن الثاني عشر ق.م، وورد اسمها في النقوش المصرية باسم "ب ل س ت"، وربما أضيفت النون بعد ذلك للجمع، وقد سكنوا المناطق الساحلية، واندمجوا بالكنعانيين بسرعة، فلم يبقَ لهم أثر مميز سوى أنهم أعطوا الأرض اسمهم^١.

أما أرض فلسطين بحدودها الجغرافية المتعارف عليها فلم تتحدّد بدقة إلا في أيام الاحتلال البريطاني لفلسطين، وخصوصاً خلال الفترة ١٩٢٠-١٩٢٣. وقد ظلت حدود أرض فلسطين تضيق وتتسع عبر التاريخ، غير أنها ظلت تعبر بشكل عام عن الأرض الواقعة بين البحر المتوسط وبين البحر الميت ونهر الأردن. وفي العهد الإسلامي قُسمت بلاد الشام إلى "أجناد"، وكان جند فلسطين يمتد من رفح على الحدود مع سيناء المصرية إلى اللجون التي تقع على بعد ١٨ كم شمالي غرب مدينة جنين. وأياً كانت التقسيمات في العهود الإسلامية المختلفة فإن فلسطين ظلت جزءاً من بلاد الشام، ولم تكن مثل هذه التقسيمات توسيعاً أو تضيقاً لتغيّر شيئاً من حقيقة شعور أبناءها بأنهم أبناء أمة مسلمة واحدة، وأن ولاءهم للحكم لا يهتز ما دام مسلماً حقاً. وعلى أي حال، فإن مساحة فلسطين تبلغ ٢٧٠٠٩ كم^٢ وفق التقسيمات المعاصرة^٢.





وتتمتع فلسطين بمناخ معتدل هو مناخ البحر المتوسط، وهو مناخ يشجع على الاستقرار والإنتاج. ويمكن أن تقسم فلسطين إلى ثلاثة قطاعات رئيسية، هي السهل الساحلي والمرتفعات الجبلية الوسطى والأخدود الأردني. والسهل الساحلي منطقة تركز غالب الفلسطينيين، حيث الموانئ ومراكز التجارة والنشاط الاقتصادي والزراعي. وتشمل المرتفعات الجبلية الوسطى جبال الجليل ونابلس والخليل وهضبة النقب، وأعلى جبالها ارتفاعاً هو جبل الجرمق شمال فلسطين الذي يبلغ ارتفاعه ١٢٠٧ أمتار. وقد سكن في هذه المرتفعات الفلاح الفلسطيني منذ آلاف السنين وزرعها بالحبوب والفواكه والخضار، ورعى الماشية. أما الأخدود الأردني، حيث يجري نهر الأردن ليصب في البحر الميت، فهو يُعدُّ أكثر المناطق انخفاضاً عن مستوى سطح البحر من أي مكان آخر على وجه الأرض، حيث يصل الانخفاض إلى نحو ٤٠٠ متر تحت سطح البحر، وهي مناطق تتميز بحرارتها طوال العام، وتشتهر بزراعتها للنخيل والموز والخضروات.

• جغرافية فلسطين

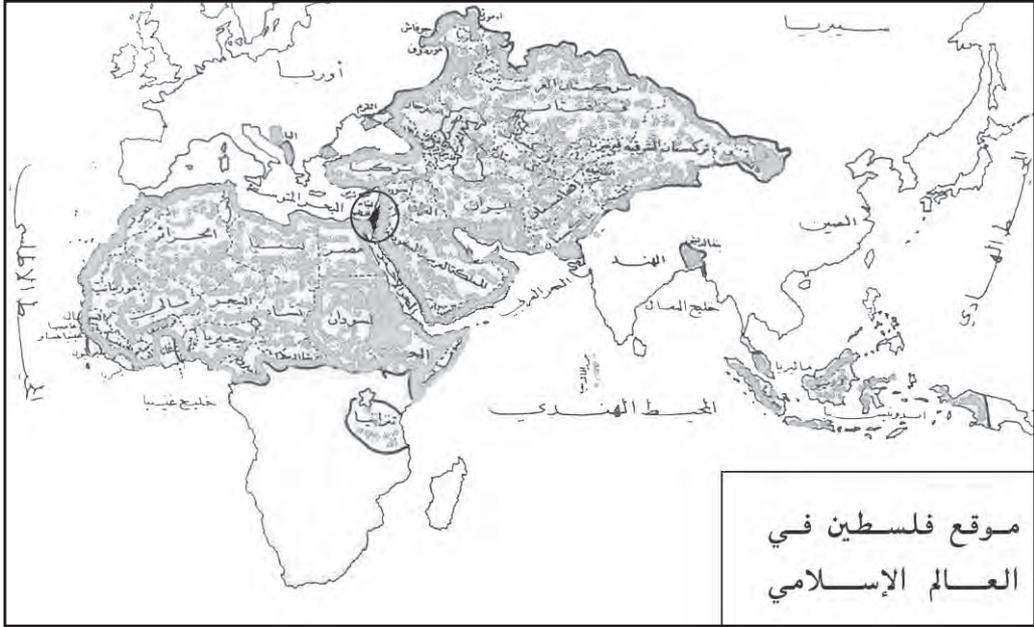
ثانياً: مكانة فلسطين الإسلامية:

لأرض فلسطين مكانة عظيمة في نفوس المسلمين فهي:

— أرض مقدسة بنص القرآن الكريم ﴿يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾^٢.

— أرض مباركة بنص القرآن الكريم ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَسَلِمْنَا مِنَ الرِّيحِ عَاصِفَةٍ تَجْرِي بِأَمْرِ رَبِّهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾^٣.





- وفيها المسجد الأقصى المبارك، أول قبلة للمسلمين، وثالث المساجد مكانة في الإسلام ويُسنُّ شدُّ الرحال إليه، والصلاة فيه تعدل ٥٠٠ صلاة عما سواه من المساجد، قال رسول الله ﷺ: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى"^٦، وقال ﷺ: "الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، والصلاة في مسجدي بألف صلاة، والصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة"^٧.
- وفلسطين أرض الأنبياء ومبعثهم، عليهم السلام، فعلى أرضها عاش إبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحق ويعقوب ويوسف وداود وسليمان وصالح وزكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام ممن ورد ذكرهم في القرآن، كما زارها محمد ﷺ. وعاش على أرضها العديد من أنبياء بني إسرائيل، ممن لم يرد ذكرهم في القرآن، عندما كانت تسوسهم الأنبياء، وممن ورد ذكرهم في الحديث الصحيح يوشع ﷺ.
- وفلسطين أرض الإسراء، فقد اختار الله سبحانه المسجد الأقصى ليكون مسرى رسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ومنه كان معرجه إلى السماء، فشرّف الله سبحانه هذا المسجد وأرض فلسطين تشريفاً عظيماً. وهناك في المسجد الأقصى جمع سبحانه الأنبياء حيث أمّم رسول الله في الصلاة، دلالة على استمرار رسالة التوحيد التي جاء بها الأنبياء، وعلى انتقال ميراث الأنبياء والإمامة وأعباء الرسالة إلى الأمة الإسلامية.



- وفي الحديث الصحيح أن بيت المقدس هي "أرض المحشر والمنشر"^٨.
 - وبلاد الشام، وفلسطين جزء منها، هي عقر دار الإسلام وقت اشتداد المحن والفتن، كما في الحديث الصحيح "عقر دار الإسلام بالشام"^٩، و"الآن الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام"^{١٠}.
 - والمقيم المحتسب في هذه الأرض كالمجاهد والمرابط في سبيل الله لقوله ﷺ: "أهل الشام وأزواجهم وذرياتهم وعبيدهم وإماؤهم إلى منتهى الجزيرة مرابطون في سبيل الله، فمن احتل مدينة من المدائن فهو في رباط، ومن احتل منها ثغراً من الثغور فهو في جهاد"^{١١}.
 - والطائفة المنصورة الثابتة على الحق إلى يوم القيامة تسكن في الشام وخصوصاً بيت المقدس وأكناف بيت المقدس^{١٢}.
- وعلى ذلك، فلا غرو أن تتعلق قلوب المسلمين وأفئدتهم بهذه الأرض المباركة المقدسة ويفدونها بدمائهم وأرواحهم.

ثالثاً: فلسطين عبر التاريخ:

هناك آثار تشير إلى أن الإنسان سكن فلسطين منذ العصر الحجري القديم (٥٠٠ ألف - ١٤ ألف ق.م)، كما يشير العصر الحجري الوسيط (١٤ ألف - ٨ آلاف ق.م) إلى وجود أشكال حياة حضارية تمثلت بما يعرف بالحضارة النطوفية. وعندما قدم الكنعانيون من جزيرة العرب (نحو ٢٥٠٠ ق.م) كانت هجرتهم واسعة بحيث أصبحوا السكان الأساسيين للبلاد، وقد أنشأوا ما لا يقل عن مئتي مدينة وقرية في فلسطين، مثل مدن بيسان وعسقلان وعكا وحيفا والخليل وأسدود وبئر السبع وبيت لحم^{١٣}. ويرى ثقات المؤرخين أن معظم أهل فلسطين الحاليين، وخصوصاً القرويين، هم من أنسال القبائل الكنعانية والعمورية والفلسطينية، ومن القبائل العربية التي استقرت في فلسطين قبل الفتح الإسلامي وبعده، حيث اندمج الجميع في نسيج واحد، يجمعهم الإسلام واللغة العربية، إذ أسلموا واستعربوا تحت الحكم الإسلامي طوال ثلاثة عشر قرناً.

كان قدوم إبراهيم عليه السلام إلى فلسطين (نحو ١٩٠٠ ق.م) إشراقة لنور التوحيد في هذه الأرض المباركة، وقد عاصر حاكم القدس "ملكي صادق" الذي كان على ما يبدو موحداً



وصديقاً له. وكان لأبي الأنبياء إبراهيم دوره في نشر رسالة التوحيد، ويبدو أنه لم يجد عنثاً أو عناءً من أهل فلسطين، ولم يضطر لتركها بسبب دينه أو دعوته، فظل مستقراً فيها، ويتنقل بحرية حيث يشاء إلى أن توفاه الله في المدينة التي حملت اسمه "الخليل". وقد سار على دربه أبناؤه الأنبياء من بعده إسماعيل، الذي استقر في مكة، وإسحق وابنه يعقوب اللذين استقرا في فلسطين. وكان ليعقوب عليه السلام اثنا عشر ابناً هم الأسباط المعروفون ببني إسرائيل (وإسرائيل هو لقب ليعقوب عليه السلام) وقد هاجروا إلى مصر واستقروا فيها، حيث عانوا من اضطهاد الفراعنة بضعة قرون. وأرسل الله لهم موسى عليه السلام (في القرن الـ ١٣ ق.م) لينقذهم من فرعون وطغيانه، وأهلك الله فرعون وجنوده، غير أن بني إسرائيل في ذلك الزمان كانوا قد طُبعوا على الذل والجبن، فرفضوا الذهاب إلى الأرض المقدسة قائلين لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هُنَا قَتَدُونَ﴾^{١٤}.

وتوفي موسى عليه السلام قبل أن يدخل فلسطين، وعندما نشأ جيل جديد صلب من بني إسرائيل بعد أربعين سنة من التيه، قادهم يوشع بن نون عليه السلام (نحو ١١٩٠ ق.م) حيث عبر بهم نهر الأردن، واستطاع تحقيق بعض السيطرة لبني إسرائيل في الجزء الشمالي الشرقي من فلسطين. ولمدة ١٥٠ سنة تالية سادت النكبات والفوضى والخلافات والانحلال الخلقي والديني بين بني إسرائيل. ولم يتحسن حالهم إلا بقدم طالوت ملكاً عليهم، والذي استطاع الانتصار على أعدائه.

وكان ظهور داود عليه السلام الذي خلف طالوت إيداناً ببدء مرحلة جديدة لنور التوحيد في الأرض المباركة، حيث آتاه الله الملك (نحو ١٠٠٤ ق.م) وقد واصل حربه ضد الأقوام الكافرة على الأرض المقدسة، حيث أخضعها واستطاع نقل عاصمته إلى القدس سنة ٩٩٥ ق.م، وسيطر على معظم فلسطين، باستثناء معظم المناطق الساحلية التي لم تخضع له. واستمر في حكمه عليه السلام حتى سنة ٩٦٣ ق.م عندما خلفه ابنه سليمان عليه السلام (٩٦٣-٩٢٣ ق.م) حيث شهدت فلسطين حركة بناء وعمران وازدهار ضخمة، وسخر الله له الريح والجن، وأعطاه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده. وكان حكم داود وسليمان هو العصر الذهبي، الذي حُكمت فيه فلسطين نحو ثمانين عاماً، تحت راية الإيمان والتوحيد قبل الفتح الإسلامي لها.

وبعد وفاة سليمان انقسمت مملكته إلى دولتين منفصلتين متعاديتين في كثير من الأحيان فنشأت مملكة "إسرائيل" شمال فلسطين خلال الفترة ٩٢٣-٧٢١ ق.م،



التي سمّتها دائرة المعارف البريطانية ازدرء "المملكة الذيلية"، حيث ضعفت وفسد حكمها، وانتهى أمرها بسيطرة الآشوريين بقيادة سرجون الثاني عليها، وتدميرها ونقل سكانها من بني إسرائيل إلى حرّان والخابور وكردستان وفارس، وأحلوا مكانهم جماعات من الآراميين، ولم يبق بعد ذلك أثر لأسباط بني إسرائيل العشرة الذين شكّلوا هذه الدولة. أما مملكة "يهودا" فاستمرت خلال الفترة ٩٢٣-٥٨٦ ق.م، وكانت عاصمتها القدس وقد اعترتها عوامل الضعف والوقوع تحت النفوذ الخارجي فترات طويلة، فقد هزمها ودخل عاصمتها شيشق فرعون مصر (أواخر القرن العاشر ق.م)، وفعل مثله الفلسطينيين في عهد يهورام (٨٤٩-٨٤٢ ق.م)، واضطرت لدفع الجزية للآشوريين...، ثم إنها سقطت أخيراً بيد البابليين بقيادة نبوخذ نصر الذي خرّب القدس، ودمّر الهيكل، وسبى حوالي ٤٠ ألفاً من اليهود، وبذلك سقطت مملكتهم سنة ٥٨٦ ق.م.

وتشير التوراة إلى آثام بني إسرائيل التي استحقوا بسببها دمار ملكهم، فتذكر على لسان أشعيا، وهو أحد أنبيائهم: "ويل للأمة الخاطئة، الشعب الثقيل الآثم، نسل فاعلي الشرّ، أولاد مفسدون تركوا الرب، واستهانوا بقدوس إسرائيل، ارتدوا إلى وراء" سفر أشعيا، الإصحاح الأول، وتقول التوراة: "والأرض تدنست تحت سكانها لأنهم تعدّوا الشرائع، غيروا الفريضة، نكثوا العهد الأبدي" سفر أشعيا، الإصحاح ٢٤.

وهكذا فلم تطل مملكة بني إسرائيل في فلسطين أكثر من أربعة قرون حكموا في معظم الوقت بعضاً من أرضها، وكان حكمهم غالب الوقت ضعيفاً مفككاً، وخضع أحياناً لنفوذ وهيمنة دول قوية مجاورة. وفي الوقت نفسه ظلّ أبناء فلسطين من الكنعانيين وغيرهم في أرضهم، ولم يهجروها أو يرتحلوا عنها.

وقد سمح الإمبراطور الفارسي قورش Cyrus لليهود بالعودة إلى فلسطين، فعادت قلّة منهم، عاشت إلى جانب أبناء فلسطين، وتمتعت منطقة القدس بنوع من الحكم الذاتي تحت السلطة الفارسية التي استمرت خلال الفترة ٥٣٩-٣٣٢ ق.م. وتلا ذلك عصر السيطرة الهلينية الإغريقية على فلسطين خلال الفترة ٣٣٢-٦٣ ق.م، واستمر يدير شؤون اليهود "الكاهن الأكبر"، واستطاع اليهود تحقيق حكم ذاتي منذ سنة ١٦٤ ق.م أخذ يضيق ويتسع، وتزداد مظاهر استقلاله وتضعف حسب صراع القوى الكبرى في ذلك الوقت على فلسطين (الرومان، البطالمة، السلوقيين...).

وقد تمكن الرومان من السيطرة على فلسطين سنة ٦٣ ق.م، وأخضعوها لحكمهم المباشر منذ السنة السادسة الميلادية حيث ألغوا الحكم الذاتي اليهودي في منطقة القدس. وقد ثار اليهود خلال الفترة ٦٦-٧٠م لكن القائد العسكري الروماني تيتوس Titus أخذ ثورتهم ودمّر الهيكل، ثم ثار اليهود مرة أخرى وأخيرة خلال الفترة ١٣٢-١٣٥م لكن القائد الروماني جوليوس سيفروس Julius Severus احتل القدس ودمرها، وأقام الإمبراطور الروماني هادريان Hadrian مدينة جديدة فوق خرائبها سماها إيليا كابيتولينا Iliia Capitolina حيث عُرفت بعد ذلك باسم إيلياء، وهو اسم هادريان الأول. وحظر على اليهود دخول القدس حوالي مئتي سنة تالية^١، وندرت أعدادهم نسبة إلى السكان طوال ١٨ قرناً تالية. بينما ظلّ أهل البلاد الأصليين من كنعانيين ومن اختلط بهم من قبائل العرب، مستقرين في البلاد قبل قدوم بني إسرائيل وفي أثناء وجودهم، وظلوا مستمرين كذلك بعدهم إلى أيامنا هذه.

وقد تولت الدولة البيزنطية (دولة الروم) القسم الشرقي من الدولة الرومانية منذ ٣٩٤م، واستمرت في الهيمنة على فلسطين، عدا فترات ضئيلة من النفوذ الفارسي، حتى جاء الفتح الإسلامي لفلسطين سنة ١٥هـ/٦٣٦م.

رابعاً: فلسطين في العهد الإسلامي:

قبل أن تتشكل الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، كانت أنظار القلّة المستضعفة من المسلمين في مكة تتجه إلى المسجد الأقصى وبيت المقدس في فلسطين. إذ إن معجزة الإسراء تمت من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى. وكان المسجد الأقصى هو القبلة الأولى للمسلمين في الصلاة. وقد كان فتح خيبر وفدك (٧هـ) وغزوتا مؤتة (٨هـ) وتبوك (٩هـ) وحملة أسامة بن زيد رضي الله عنه (١١هـ) مقدمة لتطلع المسلمين إلى بلاد الشام.

أما فتح فلسطين فكانت أبرز المعارك التي أدت إلى فتحها هي معركة أجنادين بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه في ٢٧ جمادى الأولى ١٣هـ - ٣٠ تموز/ يوليو ٦٣٤م قرب بيت جبرين التي قتل فيها نحو ثلاثة آلاف من الروم، ومعركة فحل - بيسان في ٢٨ ذي القعدة ١٣هـ - ٢٣ كانون الثاني/ يناير ٦٣٥م والتي كان ميدانها غربي نهر الأردن إلى الجنوب من بيسان. أما المعركة الفاصلة فكانت معركة اليرموك شمالي الأردن في



٥ رجب ١٥ هـ - ١٢ آب/ أغسطس ٦٣٦ م والتي واجه فيها جيش المسلمين، المكون من ٣٦ ألفاً بقيادة أبي عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد رضي الله عنهما، جيش الروم البالغ ٢٠٠ ألف. وقد حلت كارثة كبرى في الروم قدّرها بعض المؤرخين بنحو ١٣٠ ألف قتيل. وقد أدت هذه المعركة إلى فتح بلاد الشام. وجاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه بنفسه لاستلام مفاتيح بيت المقدس، بعد أن حاصرها المسلمون بضعة أشهر، ورغب أهلها في الصلح شرط أن يتولى عمر رضي الله عنه العقد بنفسه. وهي المدينة الوحيدة في عهد الراشدين التي تولى خليفة بنفسه استلام مفاتيحها، وقد شارك عمر في الفتح نحو أربعة آلاف من الصحابة، وصدح صوت بلال بن رباح فيها بالأذان، بعد أن كان امتنع عن ذلك منذ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم^{١٦}. وقد كتب عمر بن الخطاب لأهل القدس عهداً، اشتهر باسم "العهد العمرية"^{١٧}، وجاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيّزها ولا من صليبيهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود.

وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن. وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن وله مثل ما على أهل إيلياء من الجزية...

وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية.

شهد على ذلك خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان، وكتب وحضر سنة ١٥ هـ.

ويعكس هذا النص مدى التسامح الديني عند المسلمين، في عالم كان يسوده التعصب الأعمى والإكراه على الدين. وقد تم فتح القدس على الأرجح في ربيع الآخر ١٦ هـ - أيار/ مايو ٦٣٧ م. وكانت "قيسارية" آخر مدينة تفتتح في فلسطين في شوال ١٩ هـ - تشرين الأول/ أكتوبر ٦٤٠ م، وكانت ميناء ومدينة عامرة قوية، سعى الروم للاحتفاظ بها قدر استطاعتهم.

وحسب التقسيمات الإدارية أصبحت فلسطين "جنداً" من "أجناد" الشام الذي توزع على أربعة أجناد في الراشدين، وأصبحت خمساً في عهد الدولة الأموية. وقد ظلت فلسطين جزءاً أصيلاً في الدولة الإسلامية ومتفاعلاً مع تطوراتها السياسية والحضارية. ولم يكن تغير الدول والأسر الحاكمة ليؤثر على حقيقة أن أهل فلسطين عرب مسلمون موالون لدولة الإسلام وحكم الإسلام.

وقد استمر حكم الراشدين حتى سنة ٤١هـ/٦٦١م، ثم تبعه حكم بني أمية حتى ١٣٢هـ/٧٥٠م، ثم العباسيون، الذين استمر حكمهم المباشر على فلسطين إلى أن بدأ يعاني من الضعف والتفكك، مع انتهاء العصر العباسي الأول بمقتل الخليفة العباسي المتوكل سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م مما أعطى الفرصة للولاة إلى أن يشكلوا لأنفسهم سلطات محلية وراثية، كما حدث مع العائلة الطولونية التي حكمت مصر وضمّت فلسطين إليها خلال الفترة



٢٦٤-٢٩٢هـ أي ٨٧٨-٩٠٥م، وقد حذا الأخشيديون حذو الطولونيين عندما حكموا مصر، فضموها إلى نفوذهم خلال الفترة ٣٢٣-٣٥٨هـ أي ٩٣٥-٩٦٩م. وقد حكم الأخشيديون والطولونيون تحت الظل الإسمي للدولة العباسية.

وفي ٣٥٨هـ تمكن الفاطميون، الذين ينتمون إلى المذهب الإسماعيلي، من السيطرة على فلسطين، وخاضوا صراعات مع الثورات المحلية ومع القرامطة والأتراك السلاجقة للسيطرة على فلسطين. ثم إن السلاجقة تمكنوا في ٤٦٤هـ/١٠٧١م من السيطرة على معظم فلسطين. لكن الصراع عاد ليحتدم بين السلاجقة أنفسهم وبينهم وبين



الفاطميين، قد تمكّن الفاطميون من السيطرة على صور سنة ١٠٩٧ وبيت المقدس في شباط/ فبراير ١٠٩٨م. وقد كان هذا الصراع في غمرة الحملة الصليبية الأولى التي بدأت طلائعها في الوصول إلى بلاد الشام. وقام الفاطميون بمراسلة الصليبيين، عارضين عليهم التعاون في قتال السلاجقة، مقابل أن يكون القسم الشمالي من بلاد الشام للصليبيين وفلسطين للفاطميين^{١٨}.

وليس من منهجنا في هذه الدراسة أن نتحدث عن تفصيلات الحروب الصليبية^{١٩}. ولكننا نذكر أن الصليبيين تمكنوا من احتلال فلسطين، وسيطروا على القدس ٤٩٢هـ/١٠٩٩م بعد أن خاضوا في بحر من دماء المسلمين، وقتلوا منهم في القدس حوالي ٧٠ ألفاً. لكن الأمة المسلمة كانت لا تزال تملك الكثير من القوة والحيوية وكانت أرقى حضارياً وعلمياً من الصليبيين الأوروبيين، على الرغم من ما كانت تعانيه من تشرذم وصراع سياسي وحروب داخلية. فقد ظهر أبطال مجاهدون أنهكوا الصليبيين طيلة فترة حكمهم، من أمثال أقسنقر البرسقي (٥٠٨-٥٢٠هـ)، وعماد الدين زنكي (٥٢١-٥٤٠هـ) الذي أسقط إمارة الرها الصليبية، وابنه نور الدين محمود (٥٤١-٥٦٩هـ أي ١١٤٦-١١٧٤م)، الذي قدّم نموذجاً فذاً للقيادة المسلمة، وتبنى مشروعاً نهضوياً حضارياً موازياً لمشروع التحرير الذي شغله طيلة حكمه، فتمكن من توحيد القوى الإسلامية بقيادته في بلاد الشام، ثم ضمّ مصر إلى حكمه، وأسقط الخلافة الفاطمية فيها على يد واليه هناك صلاح الدين الأيوبي، وتمكن من تحرير نحو خمسين مدينة وقلعة من الصليبيين. إلا أنه توفي رحمه الله بعد أن استكمل تثبيت فكي الكماشة (مصر والشام) على عنق الصليبيين.

رفع صلاح الدين الأيوبي راية الجهاد بعد نور الدين خلال الفترة ٥٦٩-٥٨٩هـ أي ١١٧٤-١١٩٣م، وأعاد توحيد الشام ومصر تحت قيادته، وخاض معركة حطين مع الصليبيين في ٢٤ ربيع الآخر ٥٨٣هـ - ٤ تموز/ يوليو ١١٨٧م وهي معركة فاصلة في التاريخ أدت إلى تحطيم الوجود الصليبي وفتح بيت المقدس في ٢٧ رجب ٥٨٣هـ - ٢ تشرين الأول/ أكتوبر ١١٨٧م، أي بعد نحو ٨٨ عاماً من الحكم الصليبي. وقد تابع الصليبيون حملاتهم وتمكنوا من السيطرة على شريط ساحلي بين يافا وصور، كما سيطروا مرة أخرى على القدس (بسبب الصراعات الداخلية في الدولة الأيوبية) معظم الفترة بين ٦٢٦-٦٤٢هـ أي ١٢٢٩-١٢٤٤م إلى أن عادت نهائياً إلى حظيرة الإسلام، واستمرت كذلك حتى الاحتلال البريطاني لفلسطين سنة ١٩١٧م.

وقد خلف المماليك الدولة الأيوبية سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م وواجهوا الزحف المغولي على أرض فلسطين في معركة عين جالوت ٢٥ رمضان ٦٥٨هـ - ٦ أيلول/سبتمبر ١٢٦٠م بقيادة قطز (محمود بن ممدود) والتي تعدُّ من المعارك الفاصلة في التاريخ. ثم تابع المماليك مشروع تحرير فلسطين وبلاد الشام من بقايا الصليبيين، فقام الظاهر بيبرس بجهد كبير في ذلك، حيث استرد العديد من المناطق في فلسطين والشام ثم تابعه سيف الدين قلاوون، ثم ابنه الأشرف خليل بن قلاوون، الذي تمَّ على يديه إنهاء الوجود الصليبي في بلاد الشام بإسقاطه مملكة عكا الصليبية. إذ حرَّر عكا في ١٧ جمادى الأولى ٦٩٠هـ - ١٨ أيار/مايو ١٢٩١م، واستولى بعد ذلك بسرعة على صيدا وصور وحيفا وعتليت. لتعود السيطرة الكاملة على فلسطين والشام من جديد لحكم الإسلام.

وعندما ضعف شأن المماليك قام العثمانيون بالسيطرة على فلسطين وباقي بلاد الشام (سوريا والأردن ولبنان) سنة ٥١٦م، وسيطروا على مصر والحجاز واليمن والجزائر في السنة التالية، ووسَّعوا سيطرتهم خلال نصف القرن التالي لتشمل معظم العالم العربي، بما في ذلك العراق وشرق الجزيرة العربية، وليبيا وتونس. وقد استمر حكمهم لفلسطين حتى نهاية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨م.

اكتسبت فلسطين طابعها الإسلامي، منذ الفتح العمري، ودخل أهلها في دين الله أفواجا، وتعربوا وتعربت لغتهم بامتزاجهم مع القبائل العربية القادمة من الجزيرة العربية تحت لواء الحضارة الإسلامية. ولم تكن فترة الحروب الصليبية لتؤثر كثيراً على هوية الأرض والسكان، إذ صمد الفلسطينيون في أرضهم، بينما كان الصليبيون في أحيان كثيرة في وضع دفاعي مُنْهَك.

وعلى أي حال، فإن الحكم الإسلامي لفلسطين استمر نحو ١٢٠٠ سنة حتى ١٩١٧م، وهي أطول فترة تاريخية مقارنة بأي حكم آخر، كان الحكم فيها مسلماً، والشعب مسلماً، وغطى الحكم كلَّ فلسطين وليس بعضها، كما ضرب المسلمون المثل الأعلى في التسامح الديني وحرية الأديان، فكانوا خير من خدم الأرض المقدسة، وحمى حرمتها.

وقد ترسخ الإسلام في فلسطين بقدوم عدد من الصحابة رضي الله عنهم واستقرارهم في فلسطين ونشرهم للإسلام فيها، وكان منهم: عبادة بن الصامت، وشداد بن أوس، وأسامة بن زيد بن حارثة، ووائل بن الأَسقع، وفيروز الديلمي، ودحية الكلبي،



وعبد الرحمن بن غنم الأشعري، وعلقمة بن مجزر الكناني، وأوس بن الصامت، ومسعود بن أوس بن زيد، وزنباع بن روح، وأبو ريحانة شمعون الأنصاري، وسويد بن زيد، وذو الأصابع التميمي، وأبو أبي بن أم حرام الأنصاري، وأنيف بن ملة الجذامي، وأبو رويحة الفرعي... وغيرهم من الصحابة الذين عاشوا في فلسطين ودُفِنوا في ثراها.

ومن التابعين من أبناء فلسطين رجاى بن حيوة الكندي من مواليد بيسان، وهو الذي أشار على سليمان بن عبد الملك بتولية عمر بن عبد العزيز الخلافة. ومن التابعين أيضاً عبادة بن نسي الكندي، وروح بن زنباع، وممن سكن فلسطين أو زارها من التابعين مالك بن دينار، والأوزاعي، وهانئ بن كلثوم، وحميد بن عبد الله اللخمي، وسفيان الثوري، وابن شهاب الزهري.

ومن كبار الأئمة والفقهاء الذين ولدوا في فلسطين الإمام الشافعي الذي ولد في مدينة غزة، وممن عاشوا في فلسطين أو زاروها من الأئمة إبراهيم بن أدهم، والليث بن سعد، وأبو بكر محمد الطرطوشي، وأبو بكر الجرجاني، وابن قدامة المقدسي.

وإلى فلسطين ينتسب فاتح الأندلس القائد موسى بن نصير اللخمي، كما ينتسب إليها عبد الحميد بن يحيى رئيس فن الكتابة وسيد الإنشاء والدواوين في عصره، وينتسب إليها أيضاً أول علماء الكيمياء الكبار في التاريخ الإسلامي خالد بن يزيد الأموي. ولا يتسع المجال للاستطراد، فقد كانت الأرض المقدسة مركزاً للحضارة الإسلامية، ومهوى لأفئدة المسلمين، وشارك أبنائها بفعالية في بناء صرح الأمة الإسلامية الشامل وفي الارتقاء بنهضتها^{٢٠}.

خامساً: المزاعم الدينية والتاريخية لليهود في فلسطين:

تجدر الإشارة إلى أن يهود هذا الزمان يبنون احتلالهم لفلسطين على مزاعم دينية وتاريخية، فيدّعون أن الله سبحانه وعدهم هذه الأرض، ويشيرون إلى ارتباطهم التاريخي بها، بحكمهم إياها زمناً، وبتواجدهم على أرضها، وارتباطهم النفسي والروحي بها، وقدسيتها عندهم. ونحن نؤمن أن لليهود حريتهم الدينية، وليس من حقِّ

أحد أن يكرههم على تغيير عقائدهم، ولكن ليس من حقهم أن يلزموا الآخرين بعقيدتهم. كما أنه ليس من حقهم أن يشردوا شعباً من دياره، ويغتصبوا أرضه وأملاكه ومقدساته تحت دعاوهم الدينية.

أما المسلمون فلا يرون لليهود حقاً في هذه الأرض، فمن ناحية دينية، فإن هذه الأرض أعطيت لبني إسرائيل عندما رفعوا راية التوحيد، واستقاموا عليها، تحت قيادة رسلهم وصالحهم. ولكنهم انحرفوا وبدلوا وقتلوا أنبياءهم، وعاثوا في الأرض فساداً بعد ذلك، ففقدوا تلك الشرعية. والمسلمون يؤمنون أنهم الورثة الحقيقيون لراية التوحيد، وأنهم الامتداد الحقيقي الوحيد لأمة التوحيد ودعوة الرسل، وأن دعوة الإسلام هي امتداد واستمرار لدعوة إبراهيم وإسحق ويعقوب وإسماعيل وموسى وداود وسليمان وعيسى... عليهم السلام. فالمسلمون الآن هم أحق الناس بهذا الميراث بعد أن انحرف الآخرون. والمسألة غير مرتبطة بالجنس والنسل والقومية، وإنما مرتبطة باتباع المنهج، وعلى هذا فنحن المسلمين نؤمن أن رصيد الأنبياء هو رصيدنا، وتجربتهم هي تجربتنا، وتاريخهم هو تاريخنا، والشرعية التي أعطاه الله للأنبياء واتباعهم في حكم الأرض المقدسة هي دلالة على شرعيتنا وحقنا في هذه الأرض وحكمها. قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّكَ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١﴾، وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿٢٢﴾، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٣﴾. وهكذا فإن الله أخبر إبراهيم عليه السلام أن الإمامة والقيادة لا ينالها الظالمون من نسله وذريته، لأن الأمر مرتبط بالاستقامة على منهج الله، ولو كان الأمر مرتبطاً بالتناسل فلا ينبغي لبني إسرائيل أن يقصروه على أنفسهم، ولا يستحق إسماعيل عليه السلام ونسله هذا الوعد الذي أعطي لإبراهيم، ولا يستحقه العرب المنتسبون إلى إسماعيل جد العرب العدنانية، ومنهم قريش وسيدها محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

أما من الناحية التاريخية، فإن حكم بني إسرائيل لفلسطين كان فترة ضئيلة ولم تتجاوز الأربعة قرون على أجزاء من فلسطين، وليس كلها. أما الحكم الإسلامي فقد استمر نحو ١٢ قرناً (٦٣٦-٩١٧م) قطعت لفترة ضئيلة فترة الحروب الصليبية. وإذا كان معظم اليهود قد غادر فلسطين، وانقطعت صلتهم الفعلية بها مدة ١٨ قرناً،





• آرثر كوستلر

منذ ١٣٥ م وحتى القرن العشرين، فإن أهل فلسطين الأصليين لم يغادروها طوال الأربعة آلاف وخمسمائة سنة الماضية، إلى أن طُرد عدد كبير منهم قسراً على يد العصابات الصهيونية سنة ١٩٤٨ م، وما زالوا إلى الآن يجاهدون لاسترداد أرضهم دون أن يتنازلوا عنها.

ثم إن أكثر من ٨٠% من يهود هذا الزمان، حسب بعض الباحثين والعلماء اليهود أنفسهم وعلى رأسهم

آرثر كوستلر Arthur Koestler صاحب كتاب القبيلة الثالثة عشر The Thirteenth Tribe: The Khazar Empire & Its Heritage، لا يمتُّون إلى بني إسرائيل ولا إلى فلسطين بأية صلة نسب أو تاريخ، لأن معظم اليهود المعاصرين هم من يهود "الخرز" الذين ترجع أصولهم إلى قبائل تترية - تركية قديمة استوطنت منطقة شمال القوقاز (جنوب روسيا) وتهودت في القرن الثامن الميلادي بقيادة ملكها بولان Bulan سنة ٧٤٠ م، وعندما سقط ملكهم انتشروا في روسيا وشرق أوروبا، وهم ما يعرف الآن باليهود الأشكناز^٢، فإن كان لهم ثمة حق في العودة فليعودوا إلى جنوب روسيا!!.

سادساً: خلفيات ظهور القضية الفلسطينية في التاريخ الحديث:

كما أشرنا سابقاً، فقد اليهود صلتهم بفلسطين عملياً مدة ١٨٠٠ عام، ولم يكن لديهم سوى العاطفة الدينية، التي رفض أحبارهم وحاخاماتهم وقادتهم تحويلها إلى برنامج عملي؛ لأنهم كانوا يؤمنون أنهم استحقوا تدمير دولتهم وشتاتهم بسبب خطاياهم، وأن عليهم انتظار المسيح المخلص الخاص بهم "الماشياح" Mashiah أو "المسيا" Messiah، وعند ذلك يجوز لهم الاستقرار في فلسطين وإقامة كيانهم.

على أن عدداً من التغيرات المهمة حدثت في التاريخ الأوروبي الحديث، انعكست بدورها على اليهود وإنشاء المشروع الصهيوني. فمنذ القرن السادس عشر الميلادي ظهرت حركة الإصلاح الديني "الحركة البروتستانتية" التي ركزت على الإيمان بالعهد القديم "التوراة"، ونظرت لليهود وفق رؤية توراتية بأنهم "أهل فلسطين"

المشردين في الأرض، وآمن الكثير من البروتستانت بنبوءة العهد الألفي السعيد، بأن اليهود سيُجمعون من جديد في فلسطين، استعداداً لعودة المسيح المنتظر الذي سيقوم بتنصيرهم، ثم يقودهم في معركة Armageddon، حيث ينتصر على أعدائه، ليبدأ بعد ذلك عهد يمتد ألف سنة من السعادة. وقد شكل أتباع الكنائس البروتستانتية أغلبية سكان بريطانيا والولايات المتحدة وهولندا ونحو نصف سكان ألمانيا. وهكذا ظهرت "الصهيونية غير اليهودية" خصوصاً وسط هؤلاء البروتستانت، الذين دعموا المشروع الصهيوني بناء على خلفية دينية^{٢٥}.

ومن جهة أخرى فإن أوروبا، خصوصاً في القرن التاسع عشر، شهدت تحولات سياسية مهمة، فمنذ الثورة الفرنسية على الحكم الملكي سنة ١٧٨٩ أخذت تتشكل **الدولة الأوروبية الحديثة**، وانتشرت **الفكرة القومية** والمشاعر الوطنية، وتم إنشاء أنظمة علمانية فصلت الدين عن الدولة وهمّشت دور الكنيسة. وتم "تحرير" اليهود، وإعطائهم كافة حقوق المواطنة، خصوصاً في أوروبا الغربية، مما سهل على اليهود اختراق هذه المجتمعات والأنظمة، والارتقاء بمكانتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وتحقيق مستويات أعلى من النفوذ في دوائر السياسة والاقتصاد والإعلام.

وفي المقابل فإن الدولة القومية والمشاعر الوطنية في روسيا وأوروبا الشرقية قد أخذت منحى آخر، حيث كان يتواجد غالبية يهود العالم. إذ قاوم يهود روسيا عمليات الدمج والتحديث الروسية، التي تميزت بالفوقية والقسر والإرهاب. وزادت مشاركة الكثير من اليهود في الحركات الثورية اليسارية من عداة الحكومة القيصرية الروسية لهم، وانفجرت العداوة ضدهم بشكل مكشوف إثر اغتيال قيصر روسيا ألكسندر الثاني سنة ١٨٨١، والذي اتهم به اليهود. وبدأت موجة من الإجراءات العنيفة القاسية ضدهم سميت بـ "اللاسامية" anti-Semitism، أي العداة لليهود لكونهم يهوداً ينتمون إلى العنصر السامي، وقد أدى ذلك إلى نشوء "المشكلة اليهودية"^{٢٦}؛ إذ إن ملايين اليهود في روسيا أخذوا يبحثون عن فرصة للخلاص مما هم فيه، وبدأت أعداد هائلة منهم في الهجرة إلى أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية والجنوبية. وكانت هذه فرصة الحركة الصهيونية للظهور والدعوة إلى حلّ المشكلة اليهودية، بإنشاء كيان آمن مستقل لليهود في فلسطين. وتعاطف الكثير من الأوروبيين والأمريكان مع هذه الدعوة، سواء لخلفياتهم الدينية، أم تخلصاً من أعباء التدفق اليهودي على أرضهم.



وأسهم **ضعف الدولة العثمانية**، التي كانت فلسطين تحت حكمها خلال الفترة ١٥١٦-١٩١٧، وسعّي الدول الغربية لتقاسم أراضيها، إلى بروز أجواء عملية أفضل لتأسيس المشروع الصهيوني. إذ كانت هناك رغبة غربية بملئ الفراغ الذي سينتج عن سقوط الدولة العثمانية، ومنع نهوض قوة إسلامية كبرى تخلف العثمانيين.

وقد ظهرت في ذلك الوقت فكرة إنشاء دولة حاجزة شرقي قناة السويس وغربي بلاد الشام، في أواخر القرن التاسع عشر، بحيث يتم غرس كيان غريب في قلب العالم الإسلامي، يفصل جناحه الآسيوي عن جناحه الإفريقي، ويمنع وحدته، ويضمن ضعفه وتفككه، إذ إن استمرار مثل هذا الكيان مرتبط بمدى ضعف من حوله. وسيسعى هذا الكيان بالتالي لضرب أي نمو حضاري قوي في المنطقة، وسيشغل العالم الإسلامي بمشكلة طويلة معقدة تستنزف طاقته وجهوده، وتبقيه إلى أبعد مدى ممكن في فلك التبعية والضعف والحاجة للعالم الغربي، كما تبقيه مصدراً للمواد الخام وسوقاً للمنتجات الغربية. وكما أن هذا الكيان سيكون بحاجة إلى دعم الغرب لضمان استمراره، فإن الغرب كذلك سيكون بحاجة إليه لضمان ضعف العالم الإسلامي وتفككه وتبعيته. وبذلك ينشأ بينهما تحالف لا ينفصم. وهنا تكمن أهمية أن يفهم المسلمون أن هذا المشروع موجه ضدّ كل مسلم وأماله في الوحدة والنهضة والتقدم وليس ضدّ الفلسطينيين وحدهم.

لقد عاش الغرب قرناً طويلاً من الصراع مع المسلمين، كانت فيه اليد الطولى للمسلمين نحو ١١ قرناً، وما كانت لتنتهي دولة مسلمة حتى تحل مكانها دولة مسلمة تجدد الحيوية في هذه الأمة، وتحفظ عزتها وكرامتها، فكانت دول الراشدين والأمويين والعباسيين والمماليك. وتمكن العثمانيون الذين خلفوا المماليك من فتح معظم أوروبا الشرقية، ومن توحيد العالم العربي تحت رايتهم فكانوا حصناً عظيماً للإسلام قرون عديدة. غير أن ضعف الدولة العثمانية خصوصاً في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين جعل الأوروبيين يفكرون بطريقة تضمن ألا تقوم بعد ذلك للعالم الإسلامي قائمة، وألا تحل محل العثمانيين دولة مسلمة جديدة، تبعث الحيوية والنهضة فيهم، فكانت **فكرة الدولة الحاجزة**، التي توافقت مع فكرة حلّ المشكلة اليهودية، ومع فكرة حماية الجناح الشرقي لقناة السويس.



سابعاً: التطور السياسي للقضية الفلسطينية حتى سنة ١٩١٤:

لفتت حملة نابليون بونابرت Napoleon Bonaparte إلى مصر، التي احتلها بسهولة في تموز/ يوليو ١٧٩٨، الأنظار إلى مدى ضعف الدولة العثمانية، وفتحت شهية الاستعمار الأوروبي لاقتسام تركة هذه الدولة. وبالرغم من أن حملة بونابرت على فلسطين انتهت بالفشل على أسوار مدينة عكا سنة ١٧٩٩، إلا أنه كان أول زعيم سياسي أوروبي يصدر دعوة رسمية لليهود لتحقيق آمالهم وإقامة كيانهم على أرض فلسطين، وقد نشر دعوته هذه في ١٧٩٩/٤/٢٠ في أثناء حصاره لعكا^{٢٧}.



• نابليون بونابرت

ولم تكن الأهمية الخاصة لمصر وبلاد الشام لتغيب عن أعين البريطانيين الذين كانوا القوة الكبرى الأولى في العالم، فافتتحت بريطانيا قنصلية لها في القدس سنة ١٨٢٨. وفي أول رسالة لنائب القنصل في القدس، طلبت الخارجية البريطانية منه توفير الحماية لليهود، حتى وإن كانوا غير بريطانيين، ولذلك ظلت هذه القنصلية مركزاً للدفاع عن مصالح اليهود حتى نشوب الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤^{٢٨}. وعندما تمّ للبريطانيين السيطرة على قبرص سنة ١٨٧٨، ومصر سنة ١٨٨٢، أصبحت الدولة الاستعمارية الوحيدة التي لها قواعد شرقي البحر المتوسط. وفضلاً عن الخلفيات الدينية والتاريخية، فقد أصبحت تنظر إلى فلسطين في ضوء التنافس الاستعماري على المنطقة، وفي ضوء حاجتها لحماية الجناح الشرقي لقناة السويس التي أصبحت الشريان الحيوي للمواصلات البريطانية خصوصاً إلى الهند. وعندما تأسس المشروع الصهيوني، وظهرت فكرة الدولة الحاضرة، فإنها كانت تخدم بلا شك، مختلف الدوافع والخلفيات الدينية والحضارية والسياسية والاستراتيجية. وأصبحت تتخذ أبعاداً عملية يمكن تنفيذها في ضوء التدهور العثماني المتسارع.



ولم تكن أصداء الدعاوي التي أطلقها اليهود والصهاينة غير اليهود "للعودة" إلى فلسطين لتأخذ أبعاداً جدية قبل نهايات القرن التاسع عشر. فقد ظهرت بواكير هذه الدعوات في القرن السادس عشر، مروراً بأول كتاب صدر حول هذا الموضوع بقلم المحامي البريطاني هنري



• إسحاق نيوتن

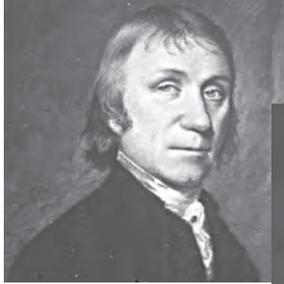
فنش Henry Finch سنة ١٦٢١ بعنوان "البعث العالمي الكبير أو عودة اليهود"، كما ظهرت في كتابات ودعوات النصارى

أمثال إسحاق نيوتن Isaac Newton (١٦٤٣-١٧٢٧)، وجان جاك

روسو Jean-Jacques Rousseau (١٧١٢-١٧٧٨)، وجوزيف

بريستلي Joseph Priestley (١٧٣٣-١٨٠٤)، وشافتسبري

Shaftesbury، ولورنس أوليفانت Laurence Oliphant.



• جان جاك روسو

وظهرت كذلك دعوات اليهود أمثال

شبتاي تسفي Shabbetai Tzvi (١٦٢٦-١٦٧٦)، وزفي هيرش

كاليشر Zvi Hirsch Kalischer (١٧٩٥-١٨٧٤)، ويهودا القالي

Judah Alkai (١٧٩٨-١٨٧٨)، وموزيس هس

Moses Hess (١٨١٢-١٨٧٥) وغيرهم^{٢٩}. غير

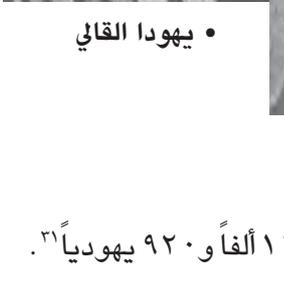
أن قدوم اليهود ظلّ مرتبطاً بالعاطفة الدينية التقليدية في زيارة الأماكن

المقدسة، أو السكن بجوارها، كما ارتبط بمشاريع استيطانية "خيرية"،

ولم يأخذ طابع البرنامج السياسي المنظم المكشوف. فقد كان عدد اليهود



• زفي هيرش كاليشر



• يهودا القالي

• موزيس هس

في فلسطين سنة ١٧٩٩ نحو خمسة آلاف^{٣٠}، وفي سنة ١٨٧٦ بلغ ١٣ ألفاً و ٩٢٠ يهودياً^{٣١}.

أخذت الهجرة اليهودية تتخذ طابعاً أكثر تنظيماً وكثافة منذ سنة ١٨٨٢ إثر تصاعد "المشكلة اليهودية" في روسيا، وقامت السلطات العثمانية بعدد من الإجراءات لمنع الاستيطان اليهودي في فلسطين، وقامت سنة ١٨٨٧ بفصل سنجق القدس عن ولاية سورية، ووضعت مباشرة تحت إشراف الحكومة المركزية (الباب العالي) لإعطاء رعاية واهتمام أكبر لهذه المنطقة^{٣٢}. وبالرغم من أن عدد اليهود الذين تركوا بلدانهم الأصلية، خصوصاً روسيا وشرقي أوروبا، بلغ حوالي مليونين و٣٦٧ ألف شخص خلال الفترة ١٨٨١-١٩١٤، إلا أن عدد من استطاع الهجرة منهم إلى فلسطين بلغ نحو ٥٥ ألفاً، أي ما نسبته ٢,٣٢%، بينما هاجرت الأغلبية الساحقة إلى الولايات المتحدة وأوروبا الغربية وأمريكا الجنوبية^{٣٣}. وهذا يدل على نجاح نسبي للسلطات العثمانية في الحد من الهجرة اليهودية إلى فلسطين.



• المؤتمر الصهيوني الأول ١٨٩٧

وقد كان إنشاء المنظمة الصهيونية العالمية (WZO) World Zionist Organization وانعقاد مؤتمرها الأول في بال بسويسرا في ٢٩-٣١/٨/١٨٩٧ بزعامة ثيودور هرتزل Theodor Herzl فاتحة العمل الصهيوني السياسي المؤسسي المنظم، لتأسيس الدولة اليهودية على أرض فلسطين. وقد حرص هرتزل على تحقيق المشروع الصهيوني من خلال الاتصالات الدبلوماسية، ومحاولة تشجيع القوى الكبرى، وخصوصاً بريطانيا، على تبني هذا المشروع، في ضوء المصالح والفوائد التي يمكن أن يجنيها الغرب





• السلطان عبد الحميد الثاني

الاستعماري الصليبي، وقد حاول هرتزل عبثاً إقناع الدولة العثمانية ببيعه فلسطين وإعطاء اليهود حكماً ذاتياً فيها تحت السيادة العثمانية، وفتح أبواب الهجرة اليهودية إليها مقابل عروض مغرية، كانت الدولة العثمانية في أمس الحاجة إليها. إلا أن السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩) وقف سداً منيعاً ضد رغبات اليهود، ورداً على من نقل اقتراح هرتزل إليه قائلاً:

أنصحه ألا يسير أبداً

في هذا الأمر. لا أقدر أن أبيع

ولو قدماً واحداً من البلاد؛

لأنها ليست لي بل لشعبي.

ولقد حصل شعبي على هذه

الإمبراطورية بإراقة دمائهم،

وقد غذوها فيما بعد بدمائهم،

وسوف نغطيها بدمائنا قبل أن نسمح

لأحد باغتصابها منا... ليحتفظ اليهود ببلايينهم، فإذا قسمت الإمبراطورية،

فقد يحصل اليهود على فلسطين دون مقابل، إنما لن تقسم إلا على جثثنا،

ولن أقبل بتشريحنا لأبيّ غرض كان^{٣٤}.

وقد شارك اليهود بفعالية في إسقاط السلطان عبد الحميد من منصبه، من خلال انبثاقهم ونفوذهم الكبير في جمعية تركيا الفتاة وذراعها لجنة الاتحاد والترقي، والتي قامت بالانقلاب العسكري عليه، وإجباره على التنازل عن العرش، وتعمدت إرسال أحد زعمائها، وهو إيمانويل قره صو Emmanuel Carasso (وهو زعيم يهودي صهيوني ماسوني) ضمن الوفد الذي أبلغ السلطان عبد الحميد بقرار عزله. وكان قره صو هذا قد حاول التأثير على السلطان عبد الحميد لإسكان اليهود في فلسطين، فقام بطرده^{٣٥}.

وقد استمتع اليهود بنفوذ كبير تحت حكم الاتحاد والترقي خلال الفترة ١٩٠٩-١٩١٤، فبينما كان لليهود ثلاثة وزراء من أصل ١٣ وزيراً في حكومة الاتحاد والترقي التي تشكلت سنة ١٩١٣، كان للعرب الذين يزيد عددهم عن نصف السكان وزير واحد^{٣٦}.



”المساحة!! من نهر مصر إلى نهر الفرات، نريد فترة انتقالية في ظلّ مؤسساتنا الخاصة، وحاكماً يهودياً خلال هذه الفترة. وما أن يصبح السكان اليهود في منطقة ما ثلثي سكانها حتى تصبح الإدارة اليهودية سارية المفعول على الصعيد السياسي“.

< ثيودور هرتزل، مؤسس ورئيس المنظمة الصهيونية العالمية، نقلاً عن: أسعد زروق، إسرائيل الكبرى، ص ٨٧-٨٩.

وقد كان لأبناء فلسطين نشاط مبكر في مواجهة المشروع الصهيوني، وكانت أولى الاصطدامات المسلحة بين الفلاحين الفلسطينيين والمستوطنين الصهاينة سنة ١٨٨٦، وقاموا بتقديم العرائض للسلطات العثمانية، كما نشطت الصحف في تبيان الخطر الصهيوني مثل جريدتي الكرمل وفلسطين. وكان للشيخ محمد رشيد رضا المصلح الإسلامي ”اللبناني“ المقيم في مصر من خلال مجلة المنار دور رائد في ذلك. كما برز من رجالات فلسطين يوسف ضيا الخالدي وسليمان التاجي الفاروقي وإسعاف النشاشيبي... ممن تحدثوا عن الخطر الصهيوني. وكانت سياسات ”التتريك“ والمحاباة للصهيونية التي مارسها حكومة الاتحاد والترقي باعثاً رئيسياً لأبناء فلسطين والعرب للانضمام للجمعيات العربية، التي أخذت تطالب بالإصلاح ضمن الدولة العثمانية، مثل حزب اللامركزية والعربية الفتاة وغيرها^{٣٧}.





• يوسف ضيا الخالدي



• إسعاف النشاشيبي

ثامناً: قضية فلسطين في الحرب العالمية الأولى :١٩١٤-١٩١٨

ومع بداية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ كان قد بلغ عدد اليهود في فلسطين نحو ٨٠ ألفاً، غير أن موقف اليهود الممالئ لبريطانيا وحلفائها ضدّ الدولة العثمانية قد جعل العثمانيين يضيّقون عليهم فترة الحرب (١٩١٤-١٩١٨)، فانخفض عددهم مع نهايتها إلى نحو ٥٥ ألفاً.



• حايم وايزمان

وقد كانت الحرب العالمية الأولى خطراً هائلاً على الجميع، لكنها مثلت في الوقت نفسه فرصة أمام كل طرف للانتفاع من نتائجها في حالة الانتصار، فنشط سوق المفاوضات والاتصالات السرية والمعاهدات لترتيبات ما بعد الحرب. وعلى الرغم من أن المنظمة الصهيونية العالمية عانت مؤقتاً من حالة من التشتت بسبب وجود الكثير من قياداتها في ألمانيا، إلا أن حايم وايزمان Chaim Weizmann استطاع إعادة ترتيب أوراقها، وقيادتها عملياً من خلال مركزه في بريطانيا. أما بريطانيا فقد سعت

إلى ضمان نفوذها في بلاد الشام والعراق من خلال السير في ثلاثة اتجاهات متعارضة متضاربة، ولم تبال بهذا التعارض كثيراً في سبيل تحقيق أهدافها والانتصار في الحرب.

كان الاتجاه الأول التفاوض مع الشريف حسين بن علي أمير الحجاز، فيما عُرف بمراسلات حسين - مكماهون Hussein-McMahon Correspondence، تموز/ يوليو ١٩١٥ - آذار/ مارس ١٩١٦، لدفعه لإعلان الثورة العربية على العثمانيين مقابل وعود باستقلال معظم المناطق العربية في جزيرة العرب وبلاد الشام والعراق تحت زعامته. وكان الكثير من رجالات العرب قد أصيبوا بالإحباط جرّاء سياسات الاتحاد



• الشريف حسين بن علي

والترقّي، التي أفقدت الدولة العثمانية مصداقيتها الإسلامية، كما غضبوا لقيام جمال باشا الصغير والي سورية بتعليق العديد من القيادات العربية على أعواد المشانق في أيار/ مايو ١٩١٥، بالرغم من أن زعامات الجمعيات العربية كانت قد أعلنت في بداية الحرب تناسي خلافاتها مع العثمانيين، والوقوف إلى جانبها في محاربة "الكفار".

وقد تعمدت بريطانيا سياسة عدم الوضوح في تحديد التزاماتها، وضغط الشريف حسين على بريطانيا لتكون أكثر تحديداً، خصوصاً فيما يتعلق بحدود الدولة العربية المقترحة، فأرسلت بريطانيا في ٢٤/١٠/١٩١٥ عدداً من التحفظات على الحدود، كمطالبتها بعدم ضمّ إقليمي مرسين وأضنة، وكذلك المناطق التي تقع إلى الغرب من سناجق حلب وحمص وحماة ودمشق، فضلاً عن استمرار استعمارها لجنوب اليمن وإمارات الخليج العربي، ومطالبتها بوضع إداري خاص لجنوب العراق يكفل المصالح البريطانية. وبالرغم من أن الشريف حسين كان يفهم أنه لا يستطيع تغيير شيء بالنسبة للبلدان العربية المستعمرة، كما عبر عن استعداده لمناقشة المصالح البريطانية في جنوب العراق، إلا أنه أصر على عروبة المناطق غربي مناطق حلب وحمص ودمشق (وهو ما فهم أن المقصود منها ما يعرف الآن بלבnan). وقد تمّ الاتفاق على ضرورة المسارعة في إعلان الثورة على أن تتم مناقشة الأمور المعلقة بعد انتهاء الحرب. فقام الشريف حسين



بإعلان الثورة في الحجاز في ١٠/٦/١٩١٦ وتحالف علناً مع البريطانيين، وأيدته في ذلك الجمعيات العربية، التي كان لها نفوذ قوي خصوصاً في بلاد الشام، كالعربية الفتاة واللامركزية والعهد.

أما الاتجاه البريطاني الثاني فكان التفاوض مع فرنسا (انضمت بعد ذلك روسيا للمفاوضات) بشأن مستقبل العراق وبلاد الشام. وقد تمّ الاتفاق فيما يعرف باتفاقية سايكس-بيكو Sykes-Picot Agreement في أيار/ مايو ١٩١٦ على إعطاء البريطانيين معظم العراق (مقارنةً بحدوده الحالية) وشرق الأردن ومنطقة حيفا في فلسطين، أما لبنان وسورية فتوضعان تحت الاستعمار الفرنسي. ونظراً لرغبة كافة الأطراف في استعمار فلسطين فقد أُنفق على أن توضع تحت إشراف دولي.



• جورج بيكو



• مارك سايكس



مترجم عن الأصل، الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية PASSIA - القدس.

• خريطة اتفاقية سايكس - بيكو



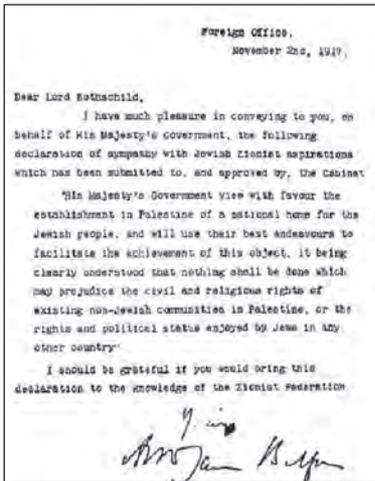
وكان الاتجاه البريطاني الثالث هو التفاوض مع المنظمة الصهيونية العالمية حول مستقبل فلسطين. وقد دفعهم إلى ذلك حاجتهم الماسة لاستخدام النفوذ اليهودي في الولايات المتحدة لدفعها للمشاركة في الحرب إلى جانب بريطانيا وحلفائها (وهذا ما حدث فعلاً في آذار/مارس ١٩١٧)، فضلاً عن وجود النفوذ اليهودي الصهيوني في بريطانيا وفي الحكومة البريطانية نفسها، من خلال وزير الداخلية اليهودي الصهيوني هربرت صمويل Herbert Samuel، والنصارى المتصهينين مثل رئيس الوزراء لويد جورج Lloyd George، ووزير الخارجية آرثر جيمس بلفور Arthur James Balfour.



• هربرت صمويل

هذا بالإضافة إلى ما أشرنا إليه سابقاً من دوافع وخلفيات دينية وسياسية واستراتيجية... وكانت النتيجة صدور تصريح بلفور الذي اشتهر بـ "وعد بلفور" في ١١/٢/١٩١٧ بتعهد بريطانيا بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين. وقد كان هذا من أغرب الوعود في التاريخ الإنساني، ففضلاً عن تعارضه مع المعاهدات الأخرى، فقد تجاوز بصلف وغرور رغبات وأمانى أصحاب البلاد الشرعيين، وتعهد أن يعطي أرضاً لا يملكها، بل ولم يكن قد احتلها بعد، إلى أناس لا يستحقونها، وكان ذلك في ذروة الحديث عن الشرف البريطاني، والدفاع عن القيم والمبادئ.

لم تبقَ اتفاقية سايكس-بيكو طي الكتمان، إذ قام الروس بكشفها بعد أن استطاعت الثورة الشيوعية القضاء على الحكم القيصري في روسيا في تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٧، وأعلنت انسحابها من الحرب. كما عرف الناس مبكراً بوعد بلفور الذي لم يعد سراً، بعد أن وصل للصحافة في البلاد العربية، مصر بالتحديد، بعد أقل من أسبوع من صدوره. وقد كان ذلك صدمة كبيرة للثورة العربية، إذ لم يتخيل الثوار أبداً هذه الدرجة من الخداع البريطاني، ولذلك رفض جنود الثورة العربية



• وعد بلفور



الاستمرار ما لم توضح الأمور، فأرسلت بريطانيا إمعاناً في التضليل أحد مبعوثيها، ديفيد هوجارث David Hogarth، في كانون الثاني/يناير ١٩١٨ لطمأنة الشريف حسين، حيث حمل تصريحاً بريطانياً بأن الهجرة اليهودية لفلسطين لن تتعارض مع مصالح السكان السياسية والاقتصادية. ومن جهة أخرى، حمل التصريح البريطاني إلى القياديين السوريين السبعة في حزيران/يونيو ١٩١٨ تأكيدات واضحة على أن الأرض التي يحتلها البريطانيون (جنوب فلسطين وجنوب العراق) سوف تحكم وفق رغبات السكان، فضلاً عن الموافقة على استقلال ما كان لا يزال تحت السيادة العثمانية من شمال فلسطين وشرق الأردن وسورية ولبنان وشمال العراق. وعندما انتهت الحرب العالمية صدر التصريح الإنجلو-فرنسي في ١١/٧/١٩١٨ بتأكيد التعهدات للعرب الذين كانوا تحت الحكم العثماني في الحرية والاستقلال^{٣٨}.

”بالنسبة لفلسطين، نحن لا نقترح حتى مجرد استشارة رغبات السكان الحاليين للبلد... إن القوى الكبرى الأربع ملتزمة بدعم الصهيونية. وسواء أكانت الصهيونية على حق أو باطل، حسنة أو سيئة، فإنها عميقة الجذور في التقاليد، وفي احتياجات الحاضر، وآفاق المستقبل. وأعظم بكثير من ظلمات ورغبات ٧٠٠ ألف عربي يسكنون الآن في هذا البلد القديم“.



• آرثر جيمس بلفور



• اللورد كيرزون

< من مذكرة وزير الخارجية البريطاني بلفور إلى اللورد كيرزون Lord Curzon، بتاريخ ١١/٨/١٩١٩، والمحفوظة في الأرشيف الوطني البريطاني F.O. 371/4183.

هوامش الفصل الأول

- ^١ لمزيد من التفصيل حول تاريخ فلسطين القديم، انظر مثلاً: محمد أديب العامري، **عروبة فلسطين في التاريخ** (صيدا-بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٧٢)؛ و**الموسوعة الفلسطينية**، إشراف أحمد المرعشلي (دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية، ١٩٨٤)، ج ١، ص ٣٧، وج ٣، ص ٢٧٣-٢٧٩، وج ٤، ص ١٧٤.
- ^٢ انظر: **الموسوعة الفلسطينية**، ج ١، ص ١١٧-١٢٩.
- ^٣ سورة المائدة: ٢١.
- ^٤ سورة الإسراء: ١.
- ^٥ سورة الأنبياء: ٨١.
- ^٦ رواه البخاري ومسلم وابن ماجه وأبو داود.
- ^٧ حديث حسن، رواه الطبراني.
- ^٨ حديث صحيح، رواه الإمام أحمد في مسنده، وابن ماجه في سننه.
- ^٩ حديث صحيح، رواه الطبراني.
- ^{١٠} حديث صحيح، أخرجه الحاكم، وأبو نعيم في الحلية.
- ^{١١} رواه الطبراني، وقال الهيثمي فيه أرطاه بن المنذر، وبقية رجاله ثقات.
- ^{١٢} ورد حديث رواه الإمام أحمد بهذا المعنى. ونصه "لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك، قالوا يا رسول الله: وأين هم؟ قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس"، ورجاله ثقات إلا مهدي بن جعفر الرملي، فقد وثقه ابن حبان ويحيى بن معين، وضعّفه البخاري.
- ^{١٣} انظر: **الموسوعة الفلسطينية**، ج ٣، ص ٢٧١-٢٧٩، و٦٦٦-٦٧٠.
- ^{١٤} سورة المائدة: ٢٤.
- ^{١٥} حول تاريخ بني إسرائيل القديم المشار إليه في الفقرات السابقة، انظر مثلاً: ظفر الإسلام خان، **تاريخ فلسطين القديم ١٢٢٠ ق.م - ١٣٥٩ م: منذ أول غزو يهودي حتى آخر غزو صليبي**، ط ٤ (بيروت: دار النفائس، ١٩٨٤)؛ و**الموسوعة الفلسطينية**، ج ١، ص ٢٣٨، وج ٣، ص ١٨٤-١٨٦، و٢٦٦-٢٦٨، وج ٤، ص ٢١٦-٢١٨.
- ^{١٦} حول فتح فلسطين وبلاد الشام، انظر مثلاً: الأزدي، **تاريخ فتوح الشام**، تحقيق عبد المنعم عبد الله عامر (القاهرة: مؤسسة سجل العرب، ١٩٧٠)؛ وأحمد عادل كمال، **الطريق إلى دمشق** (بيروت: دار النفائس، ١٩٨٠)؛ ومحسن محمد صالح، **الطريق إلى القدس**، ط ٣ (لندن: فلسطين المسلمة، ١٩٩٨)، ص ٤٩-٧٧.
- ^{١٧} انظر نصّ العهدة العمرية في: محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٩)، ج ٣، ص ٤١٨.
- ^{١٨} حول فلسطين في عهد الراشدين والأمويين والعباسيين والفاطميين والأيوبيين، انظر مثلاً: **الموسوعة الفلسطينية**، ج ٣، ص ٢٤٢-٢٦٦، و٤٢٦-٤٢٨.
- ^{١٩} ناقشنا في كتابنا الطريق إلى القدس في الفصل الثالث بالتفصيل جهاد المسلمين لتحرير فلسطين من الصليبيين والتتار، انظر: **الطريق إلى القدس**، ص ٨٩-١٢٨.
- ^{٢٠} حول الصحابة والتابعين ورجال الإسلام الذين عاشوا في فلسطين، انظر مثلاً: ضياء الدين محمد المقدسي، **فضائل بيت المقدس**، تحقيق محمد مطيع حافظ، سلسلة فضائل الشام رقم ٢ (دمشق: دار الفكر، ١٩٨٥)، ص ٩٠-٩٢؛ ومصطفى مراد الدباغ، **القبائل العربية وسلالتها في بلادنا فلسطين** (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٩)، ص ٤٧-٤٨، و١١١-١١٣، و١٣٨-١٤٠، و١٨٨؛ ومصطفى مراد الدباغ، **من هنا وهناك** (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٦)، ص ٨٠-٨٣، و١١٢.



- ^{٢١} سورة آل عمران: ٦٧-٦٨.
- ^{٢٢} سورة البقرة: ١٣٢.
- ^{٢٣} سورة البقرة: ١٢٤.
- ^{٢٤} حول يهود الخزر، انظر مثلاً: أسماء فاعور، **فلسطين والمزاعم اليهودية** (بيروت: دار الأمة، ١٩٩٥)، ص ٢٣٥-٢٤١.
- ^{٢٥} حول هذا الموضوع، انظر: ريجينا الشريف، **الصهيونية غير اليهودية جذورها في التاريخ الغربي**، ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز، سلسلة عالم المعرفة رقم ٩٦ (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، كانون الأول / ديسمبر ١٩٨٥).
- ^{٢٦} حول هذا الموضوع، انظر: عبد الوهاب المسيري، **الأيدولوجية الصهيونية**، سلسلة عالم المعرفة رقم ٦٠-٦١ (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، كانون الأول / ديسمبر ١٩٨٢ - كانون الثاني / يناير ١٩٨٣)، ج ١، ص ٨٩-١١٦؛ وأسعد عبد الرحمن، **المنظمة الصهيونية العالمية ١٨٨٢-١٩٨٢** (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٠)، ص ٢٣-٢٦.
- ^{٢٧} انظر: ريجينا الشريف، **مرجع سابق**، ص ١٠٦-١١٠؛ و**الموسوعة الفلسطينية**، ج ٢، ص ٢٧٩.
- ^{٢٨} Albert H. Hyamson, *Palestine Under the Mandate 1920-1948* (Great Britain: Methuen, 1950), p. 7.
- ^{٢٩} انظر: ريجينا الشريف، **مرجع سابق**، ص ٧٩-٨١؛ وأسعد عبد الرحمن، **المنظمة الصهيونية العالمية**، ص ٢٧-٣٠.
- ^{٣٠} حسان حلاق، **موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧-١٩٠٩**، ط ٢ (بيروت: الدار الجامعية للطباعة والنشر، ١٩٨٠)، ص ٨٢-٨٤.
- ^{٣١} سمير أيوب، **وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني** (بيروت: دار الحداثة للطباعة والنشر، ١٩٨٤)، ج ١، ص ٢٨٠.
- ^{٣٢} انظر: حسان حلاق، **مرجع سابق**، ص ١٠١-١٠٥.
- ^{٣٣} انظر: وليم فهمي، **الهجرة اليهودية إلى فلسطين** (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤)، ص ٣٦. وقد قُدرت مراجع أخرى عدد المهاجرين اليهود إلى فلسطين خلال الفترة ١٨٨٢-١٩١٤ بحوالي ٧٠-٥٥ ألفاً، انظر مثلاً: صبري جريس وأحمد خليفة (محرران)، **دليل إسرائيل العام** (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٦)، ص ٤٠.
- ^{٣٤} سمير أيوب، **مرجع سابق**، ج ١، ص ١٢٨.
- ^{٣٥} انظر: صالح أبو يصير، **جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن** (بيروت: دار الفتح، ١٩٧٠)، ص ٣٣.
- ^{٣٦} عجاج نويهض، **رجال من فلسطين** (بيروت: منشورات فلسطين المحتلة، ١٩٨٠)، ص ٣٢٦-٣٢٧.
- ^{٣٧} حول هذا الموضوع، انظر: عبد الوهاب الكيالي، **تاريخ فلسطين الحديث**، ط ٩ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٥)، ص ٣٧-٦٧.
- ^{٣٨} حول المفاوضات والوعود البريطانية مع الشريف حسين، والفرنسيين، والمنظمة الصهيونية العالمية، انظر: **المرجع نفسه**، ص ٧٢-٨٤؛ و**تقرير اللجنة الملكية: الكتاب الأبيض رقم ٥٤٧٩**، النسخة العربية الرسمية، إصدار حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين (القدس: ١٩٣٧)، ص ٢٣-٣١ (اشتهر هذا التقرير باسم **تقرير بيل**). وانظر أيضاً:

George Antonius, *The Arab Awaking* (London: Hamish Hamilton, 1955), pp. 260-272.



The Palestinian Issue: Historical Background and Contemporary Developments



هذا الكتاب

يحاول هذا الكتاب تقديم صورة شاملة عن القضية الفلسطينية من خلال استعراض خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة.

ويستعرض الكتاب، بأسلوب علمي موثق وبلغة سهلة، وبشكل مُركّز ومختصر، تاريخ فلسطين في عصورها الأولى مروراً بالعهد الإسلامي، وخلفيات نشوء المشروع الصهيوني، ومرحلة الاحتلال البريطاني لفلسطين، وقيام الكيان الإسرائيلي. ويدرس ظهور القضية الفلسطينية وتطورها، مسلطاً الضوء على كفاح الشعب الفلسطيني وانتفاضاته وثوراته، ودور منظمة التحرير الفلسطينية وفصائلها، ودور التيار الإسلامي الفلسطيني.

ويعطي الكتاب تركيزاً خاصاً على العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، ليتمكن القارئ الكريم من استجلاء الكثير من النقاط المتعلقة بالواقع المعاصر للقضية. ويأتي الكتاب في طبعة مزينة ومنقحة تغطي الفترة حتى سنة ٢٠١١، كما يأتي مدعماً بالصور والخرائط التوضيحية.

ويعدّ هذا الكتاب مصدراً مهماً للقراء الذين يريدون التعرف بشكل عام على القضية الفلسطينية، وإدراكها بشكل علمي متوازن، وبما يشكّل مدخلاً لمن يحب بعد ذلك الدخول في التخصص والتفصيلات.

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations

ص.ب. 14-5034 بيروت - لبنان

تلفون: +961 1 803 644 | تليفاكس: +961 1 803 643

info@alzaytouna.net | www.alzaytouna.net

